45- سورة الجاثية

1 النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند فراخ بخشايش مهربان.
حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (2)
فرو فرستادن اين نامه از خداى است، آن تواناى دانا.
إِنَّ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ در آسمان و زمين،
لَآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (3) نشانهاست گرويدگان را.
وَ فِي خَلْقِكُمْ وَ ما يَبُثُّ مِنْ دابَّةٍ و در آفرينش شما و در آنچه آفريدگار ميپراكند در جهان از جنبنده،
آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (4) نشانهاست ايشان را كه بى‌گمان‌اند.
وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ، و در آمد شد شب و روز پس يكديگر،
وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ، و در آنچه فرو فرستاد اللَّه از آسمان
مِنْ رِزْقٍ، از بارانى كه روزى خلق بآنست،
فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها تا زنده كرد بآن زمين را پس مرگى آن،
وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ و گردانيدن بادها از روى بروى جهان،
آياتٌ نشانهاست،
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (5) گروهى را كه خرد دارند و دريابند.
تِلْكَ آياتُ اللَّهِ، اين آيات و سخنان اللَّه است،
نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ كه ميخوانيم بر تو براستى،
فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَ آياتِهِ يُؤْمِنُونَ (6) پس بكدام سخن پس اللَّه و سخنان او بخواهيد گرويد.
وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (7) و تباهى هر دروغ زنى را بزه‌كار.
يَسْمَعُ آياتِ اللَّهِ تُتْلى عَلَيْهِ ميشنود سخنان اللَّه كه ميخوانند بر او،
ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً آن گه مى‌ستيهد بگردنكشى،
كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها گويى هرگز آن را نشنيد،
فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ (8) (پس) بشارت ده او را بعذابى درد نماى.
وَ إِذا عَلِمَ مِنْ آياتِنا شَيْئاً و هر گه كه و بداند از سخنان ما چيزى

اتَّخَذَها هُزُواً آن را بافسوس گیرد،
أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ (9) ایشانند که ایشانراست عذابی خوار کننده.
مِنْ وَرائِهِمْ جَهَنَّمُ از پیش ایشانست دوزخ،
وَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ ما كَسَبُوا شَيْئاً و بکار نیاید ایشان را هیچ چیز از آنچه میساختند و میکردند و میزادند،
وَ لا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ و نه آنچه بخدای میگرفتند فزود از اللّه،
وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (10) و ایشانراست عذابی بزرگ.
هذا هُدىً اندرین سخن و این نامه و پیغام، آگاه کردنی است و پند دادنی و پیغام رسانیدن و ترسانیدن،
وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ و ایشان که کافر شدند بسخنان خداوند خویش،
لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (11) ایشانراست عذابی دردنمای از عذابی سخت.
اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ اللّه آن خدایی است که نرم کرد شما را دریا و ساخته،
لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ، تا میرود در آن کشتیها، بفرمان او،
وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ و تا از فضل او و روزی او بجوئید،
وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12) و تا مگر آزادی کنید.
وَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ و شما را نرم کرد و ساخته و زیردست، آنچه در آسمانهاست و در زمین،
جَمِيعاً مِنْهُ همه از اوست از بخشیدن او و ساختن او و ارزانی داشتن او،
إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13)، در آنچه کرد نشانهای روشن است ایشان را که در اندیشند.
قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا گوی ایشان را که گرویده‌اند،
يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ تا بیامرزند ایشان را که از روزهای خدای نمیترسند،.
لِيَجْزِيَ قَوْماً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (14) تا پاداش دهد اللّه گروهی را بآنچه میکردند.
مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ هر که نیکی کند، خویشتن را کند،
وَ مَنْ أَساءَ فَعَلَيْها، و هر که بد کند بر خود کند،

ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (15) و آن گه شما را با خداوند شما خواهند برد.
وَ لَقَدْ آتَيْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ داديم فرزندان يعقوب را نامه و دانش در دين و پيغمبرى،
وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ و روزى داديم ايشان را از پاكها و خوشها،
وَ فَضَّلْناهُمْ عَلَى الْعالَمِينَ (16) و افزونى داديم ايشان را بر همه جهانيان.
وَ آتَيْناهُمْ بَيِّناتٍ مِنَ الْأَمْرِ، داديم ايشان را نشانهاى روشن درست از كار پيغامبر خويش،
فَمَا اخْتَلَفُوا دو گروه نشدند، در كار او،
إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ، مگر پس آن كه بايشان آمد آنچه ميدانستند،
بَغْياً بَيْنَهُمْ ببدنيّتى و ستم بر خود،
إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ، خداوند تو داورى برد روز رستاخيز ميان ايشان،
فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (17) در آنچه ايشان دو گروه ميباشند.

النوبة الثانية

اين سوره را سه نام است: سورة الجاثية، سورة الشريعة و سورة الدهر.
دو هزار و صد و نود و يك (2190) حرف است
و چهار صد هشتاد و هشت (488) كلمت
و سى و نه (39) آيت،
جمله بمكه فرود آمد مگر يك آيت: قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا... اين يك آيت بمدينه فرود آمد در شأن عمر خطاب.
و درين سورة از منسوخات همين يك آيت است: قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا... منسوخ است بآيت قتال.
و در فضيلت سورة، أُبىّ بن كعب روايت كند از مصطفى (صلي الله عليه وسلم)
قال: من قرأ سورة حم الجاثية، ستر اللَّه عورته و سكن روعته عند الحساب، حم محله رفع بالابتداء فيمن جعله اسم السورة،
تَنْزِيلُ الْكِتابِ خبره.
و من جعله قسما فالمقسم عليه تنزيل الكتاب، و من جعله لافتتاح الكلام

كقولهم الا، فتنزيل الكتاب رفع بالابتداء و قوله: مِنَ اللَّهِ خبره،
و المعنى القرآن كلام اللَّه العزيز فى انتقامه الحكيم فى تدبيره و ليس كما زعم المبطلون، انه شعر او كهانة او تقوّله محمد (صلي الله عليه وسلم)
إِنَّ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ يجوز ان يكون المراد فى السماوات و الارض دلائل على الوحدانية، و يجوز ان يكون المراد بالايات.
ما فى السماء من الشمس و القمر و النجوم و غيرها و فى الارض من الجبال و الاشجار و الانهار و غيرها، فانّ كل واحد منها آية دالة على توحيد اللَّه عز و جل، و خصّ المؤمنين بالذكر لانتفاعهم بها.
وَ فِي خَلْقِكُمْ وَ ما يَبُثُّ مِنْ دابَّةٍ آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ اى من تأمل فى خلق نفسه و خلق الحيوان جميعا و اختلاف طبايعها و عجائب صنعها يتيقن ان لها صانعا حكيما، و خصّ الموقنين، لان اليقين يقع بالاستدلال، وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ بالظلمة و الضياء و قيل بتعاقبهما،
وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ اى من السحاب مِنْ رِزْقٍ اى مطر، لانه سبب رزق الحيوان،
فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها انبت بالمطر نباتها و اشجارها و تلك حياتها بعد يبسها بانقطاع الماء عنها،
وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ جنوبا و شمالا و دبورا و صباء و نكباء
و قيل تصريفها رحمة و عذابا،
آياتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ خصّ العقلاء بالذكر لان بالعقل يمكن الوقوف على الدلائل المذكورة فى هذه الآيات الثلث.
قرأ حمزة و الكسائى: وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ آياتٌ و كذلك فى قوله مِنْ دابَّةٍ آياتٌ بكسر التاء فيهما عطفا على قوله لَآياتٍ و هو فى موضع النصب فى الاعراب. و قرء الآخرون برفعهما، عطفا على موضع انّ مع ما عملت فيه،
و الآيات فى المواضع الثلاثة اللائى قدمناها، هى الصنائع و فى قوله: تِلْكَ آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ هى آيات القرآن كما هى فى الاية التي تليها و التي بعدها و اما الآيات فى قوله فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَ آياتِهِ يُؤْمِنُونَ فهى آيات القرآن و آيات الصنائع معا،
قوله: تِلْكَ آياتُ اللَّهِ اى هذه آيات القرآن،

نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ لا يستعمل التلاوة الا فى كتب اللَّه، و الاصل فيها اتيان الثانى اثر الاول.
فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ اى بعد حديث اللَّه كقوله: أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً وَ آياتِهِ يُؤْمِنُونَ يعنى من لم يؤمن بكلام اللَّه، فلن يؤمن بحديث سواه،
و قيل معناه: القرآن آخر كتب اللَّه و محمد (صلى الله عليه وسلم) آخر رسله فان لم يؤمنوا به فباىّ كتاب يؤمنون و لا كتاب بعده و لا نبى.
قرأ بن عامر و حمزة و الكسائى و ابو بكر و يعقوب، تؤمنون بالتاء على معنى قل لهم يا محمد «فباى حديث تؤمنون» و قرأ الباقون بالياء حملا على القوم.
وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ كثير الكذب،
أَثِيمٍ كثير الاثم، يعنى النضر بن الحرث
يَسْمَعُ آياتِ اللَّهِ تُتْلى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ، اى يبقى بعد سماع القرآن كافرا و الاصرار العزم على الامر، و اكثر ما يستعمل، فى الاقامة على الذنب
مُسْتَكْبِراً، اى عن الايمان
كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها فى عدم الانتفاع بها و القبول لها،
فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ اخبره خبرا يظهر اثره على بشرته من الترح،
وَ إِذا عَلِمَ مِنْ آياتِنا شَيْئاً هذا العلم معناه السماع كقولك اعلم، تريد اسمع،
اتَّخَذَها هُزُواً اى استهزأ بها و عارضها بحديث الفرس يرى العوام انه لا حقيقة لذلك،
أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ ذكر بلفظ الجميع ردا الى كلّ فى قوله: لِكُلِّ أَفَّاكٍ.
مِنْ وَرائِهِمْ جَهَنَّمُ يعنى قدّامهم. لانه لم يأت بعد،
و قيل من خلفهم لانه يكون بعد انقضاء آجالهم و قيامهم من قبورهم، و كل ما توارى عنك فهو وراء، تقدم او تأخر
وَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ اى لا يدفع عنهم ما كَسَبُوا اى كسبهم المال و الاولاد شَيْئاً من عذاب اللَّه،
وَ لا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ يعنى الاصنام و ما عبدوه،
وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ دائم لا ينقطع.
هذا هُدىً اى هذا اعلام وعظة و بلاغ،
و قيل هذا القرآن سبب الهداية و الرشاد لمن تدبّره و تفكر فيه،

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ.
الرجز اشد العذاب اى لهم عذاب من اشدّ العذاب.
اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ اى سهّل لكم ركوب البحر
لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ اى بتسخيره ذلك لكم،
وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ لتطلبوا المال بالتجارة فى البحر و استخراج الجواهر منه و صيد ما فيه،
وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ على هذه النعم.
وَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً اى صيّره بحيث تتصرفون فيه و تنتفعون به فى دنياكم و دينكم بالاستدلال به على التوحيد.
قال ابن عباس: سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ يعنى الشمس و القمر و النجوم و المطر و الرياح،
وَ ما فِي الْأَرْضِ يعنى النبات و الاشجار و الثمار
و قيل الحيوانات و الجمادات جَمِيعاً نصب على الحال
مِنْهُ اى هذه النعم كلها منه خلقا، فيكون خبر مبتدء محذوف،
و قيل تسخير الجميع منه،
و قيل تقديره: من خلقه، فحذف المضاف و يجوز اى يكون صفة للمصدر اى تسخيرا منه
إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ اى فى تسخير القوىّ للضعيف دلالة على صانع قدير حكيم.
قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا اى ليغفروا يعنى ليعفوا و ليصفحوا
لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ اى لا يخافون سطواته.
و قيل لا يخافون مثل عقوبات الايام الخالية.
و العرب تعبّر عن الوقائع بالايام كيوم أُحد و يوم حنين.
و قيل معناه: لا يطمعون فى ايام اللَّه نصرة لاولياء اللَّه
و قيل لا يطمعون فى ايام اللَّه التي وعدها اللَّه المؤمنين فى الجنة و اضاف الى اللَّه كبيت اللَّه.
ابن عباس گفت اين آيت در شأن عمر خطاب فرو آمد، در غزاء بنى المصطلق بودند و لشكر اسلام، بسر چاهى فرود آمد كه آن را مريسيع ميگفتند. عبد اللَّه ابىّ كه سر منافقان بود، غلام خود بطلب آب فرستاد،

دیر باز آمد، عبد اللّه گفت چه سبب بود که بر سر چاه دراز بماندی و دیر آمدی، غلام گفت از آن دیر آمدم، که غلام عمر خطاب بر سر چاه نشسته بود و آب میکشید تا قربهای پیغامبر پر کرد و قربهای بو بکر و قربهای مولی خویش.
عبد اللّه منافق گفت مثل ما با این قوم چنانست که گفته‌اند: سمّن کلبك يأكلك. این سخن بعمر رسید، عمر در خشم شد، شمشیر برداشت تا قصد وی کند، جبرئیل آمد و این آیت آورد، عمر بحکم آیت برفت و آن عزم خویش فسح کرد.
سُدّی گفت و جماعتی مفسران که این آیت در شأن جمعی صحابه فرو آمد که از اهل مکه در رنج عظیم بودند، از گفتار و کردار ایشان و از رنج و اذی مشرکان به رسول خدا نالیدند و از وی دستوری قتال خواستند که هنوز آیت قتال نیامده بود،
رب العزه این آیت فرستاد و ایشان را بحکم وقت، عفو و صفح فرمود، چنانك جائی دیگر فرمود: فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ، (2.109) و ایضا: 64.14، 24.22، 5.13، 15.85، 43.89،
پس آیت قتال فرو آمد و این آیت منسوخ گشت:
لِيَجْزِيَ قَوْماً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ، قرأ ابن عامر و حمزة الكسائى «لنجزى» بالنون و قرأ الآخرون لِيَجْزِيَ بالياء يعنى ليجزى اللّه قوما،
و قرأ ابو جعفر، «ليجزى» بضم الياء و فتح الزاء، تأويله ليجزى الجزاء قوما، فيكون الجزاء مضمرا و نصب قوما لانه المفعول الثانى.
مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَساءَ فَعَلَيْها اى لها الثواب و عليها العقاب ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ فى المعاد.
وَ لَقَدْ آتَيْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الْكِتابَ يعنى التورية
وَ الْحُكْمَ يعنى الحكمة و السنة و قيل القضاء بين الناس
وَ النُّبُوَّةَ، فان ابراهيم كان شجرة الأبنياء (الانبياءَ)
وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ اى الحلالات و هى المن و السلوى و الماء المنفجر من الحجر فى التيه و مواريث فرعون،
وَ فَضَّلْناهُمْ عَلَى الْعالَمِينَ اى عالمى زمانهم
و قيل خصصناهم بكثرة الانبياء من بين سائر الامم،

قال ابن عباس لم يكن من العالمين احد فى زمانهم، اكرم على اللَّه و لا احب اليه منهم.

وَ آتَيْناهُمْ بَيِّناتٍ مِنَ الْأَمْرِ يعنى العلم بمبعث محمد (صلي الله عليه وسلم) و علامات نبوته و ما بيّن لهم من امره،

فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ هذا العلم هو القرآن اى ما اختلفوا فى كونه بيّنا حتى جاءهم القرآن و لما بعث رسول اللَّه (صلي الله عليه وسلم) نبيا اختلف عليه بنو اسرائيل فريقين:

- فريق صدّقه و هم الذين قال اللَّه تعالى:
  - وَ شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فَآمَنَ
  - و قال تعالى: يَفْرَحُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ
  - و قال تعالى: فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ يعنى عبد اللَّه بن سلام و غيره،
- و فريق جحدوه و كذّبوه،

بَغْياً بَيْنَهُمْ و حسدا من عند انفسهم لا من جهل يكون به الانسان معذورا و هم الذين قال اللَّه عز و جل: الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (البقرة 2.146)

كانوا كلمة واحدة فيه قبل ان يبعث، يشهدون له و يستفتحون به و ينتظرونه و يبشّرون به فلما جاءهم اختلفوا فيه و تحزبوا عليه،

إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ.

و قيل اراد بالاختلاف اختلافهم فى اوامر اللَّه و نواهيه فى التورية.

النوبة الثالثة

بسم اللَّه معراج قلوب الاولياء.

بسم اللَّه نور سر الاصفياء.

بسم اللَّه شفاء صدور الأتقياء.

بسم اللَّه كلمة التقوى و راحة الثكلى و شفاء المرضى.

بسم اللَّه اصل همه دولتهاست، مايه همه سعادتها است، ختم همه عزتهاست توقيع منشور نياز هاست.

بسم اللَّه بريد حضرت انبياست، كليد قربت اولياست، سلوت و سكون

اصفیاست.
بسم الله آشنایی را سبب است و روشنایی را مدد است.
از قطیعت امانست، و بی‌قراری را درمانست،
نام خداوند جهان و جهانیانست.
پادشاه بر همه شاهانست، پیش از هر زمان و پیش از هر نشانست.
خدایی که وجودش را بدایت نه، جُودش را نهایت نه،
یکی یگانه که او را مثل و مانندی نه،
فرد داننده که او را خویش و پیوند نه،
صمدی پاینده که دریافت او را بخرد راه نه.
حکیمی که یاد وی، دلها را بستانت.
لطیفی که انس با وی، زندگانی دوستانست،
کریمی که مهر وی شادی جاودانست، شیرین سخن و زیبا صنع و راست پیمانست.

مهر تو بمهر خاتم جم ندهم
وصلت بدم مسیح مریم ندهم
عشقت بهزار باغ خرم ندهم
یك دم غم تو بهر دو عالم ندهم.

حم
الحاء تدل علی حیاته،
و المیم تدل علی مودته، کانه قال جل جلاله: بحیاتی و مودتی لاولیائی لا شيء احب علی احبائی من لقایی.
بحیاۃ من، بمهر من و دوستان من، که دوستان را عز دو جهانست:
امید دیدار من، هر که را امروز در سرای فنا انس جان او نامه من،
فردا در سرای بقا توتیای چشم او لقاء من.
تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ تنزیل او نامه او، و نامه او پیغام او، و پیغام او نشان مهر او، با دوستان او.
مؤمنان چون نامه دوست خوانند بر بصرشان بصیرت بیفزاید، زنگار غمان از دلشان بزداید، نسیم صبای معرفت از جانب قربت درآید، ریحان

حیاة سر از باغ وصال بر کشد، گل افتخار از خار افتقار بردمد، صبح شادی از مطلع آزادی سر برزند.
آری قدر نامه دوست، دوستان دانند. عزت آن خطاب، مؤمنان شناسند.
بو بکر شبلی وقتی ببازار بغداد بگذشت پاره‌ای کاغذ دید که نام دوست بر وی رقم بود و در زیر اقدام خلق افتاده. شبلی چون حروف نام او بر آن صفت دید، همه اجزاء او حرمت گشت، اضطرابی بر اعضاء وی افتاد، سر فرو کرد و آن رقعه برداشت و ببوسید، آن را معطر و معنبر کرد و قبله دیده خود ساخت و پیوسته با خود داشت که بر سینه نهادی ظلمت غفلت بزدودی، که بر دیده نهادی، نور چشم بیفزودی. هم چنان با خود میداشت تا آن روز که بقصد بیت اللّٰه الحرام از بغداد بیرون آمد، روی ببادیه نهاد آن رقعه در دست گرفته و آن را بدرقه روزگار خود ساخته، در میان بادیه جوانی را دید فرید وحید غریب و طرید بی‌زاد و بی‌راحله، بی‌رفیق و بی‌قافله، از خاك بستر کرده و از سنگ بالین ساخته، سراپرده اندوه و حیرت گرد او زده، سرشك از چشم او روان شده و دیده در هوا نهاده، آسمان و زمین را درد ماتم او گرفته. شبلی بر بالین وی نشست و آن کاغذ پیش دیده او داشت، گفت: ای جوان برین عهد هستی، جوان روی بگردانید، شبلی گفت، انّا للّٰه مگر اندرین سکرات و غمرات، حال این جوان را تبدیل خواهد شد؟ جوان باز نگریست گفت ای شبلی نهمار در غلطی آنچه تو در کاغذ میبینی و میخوانی ما در صفحه دل می‌بینیم و میخوانیم. (نهمار يعني عظيم، بي کرانه و بسیار را گویند، لغات دهخدا)
إِنَّ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ. اندرین آیت کمال قدرت خود بخلق مینماید، در آفرینش آسمان و زمین.
وَ فِي خَلْقِكُمْ وَ ما يَبُثُّ مِنْ دابَّةٍ اظهار لطف خود میکند در آفرینش همه جانوران و خاصّه آدمیان،
وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ رِزْقٍ نعمت خود با یاد خلق میدهد، در آفرینش آب و باد و باران و تعبیه روزی ایشان در آن، آن گه گفت: آياتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
عاقل کسی باید که اندرین آیات تدبر و تفکر کند،

- تا از آیت اولی قدرت او جل جلاله فهم کند و مقتضی قدرت

خوف است، از سیاست و سطوت او بترسد

- و از آیت دوم لطف او فهم کند و مقتضی لطف رجاست، دل در کرم او بندد
- و از آیت سوم نعمت او بر خود بشناسد، بشکر آن قیام کند.

**

- اول مقام خائفانست،
- دوم مقام راجیان است،
- سوم مقام شاکران.

و در مقام شکر کشف و حجاب بسیار افتد و آنچه رب العزة فرموده اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ اشارت فرا کشف و حجاب است.

- روز روشن مثال کشف است
- و شب تاریك نشان حجاب.

و بنده میان هر دو حال گردان.

در حال کشف همه منعم بیند، نه در نعمت، شادی برد، نه در محنت، غم خورد.

در مشاهده منعم او را چندان شغل افتد که نه با شادی نعمت پردازد، نه با اندوه محنت. و فی معناه انشدوا:

گر فرق کنم که نیك کردی یا بد
مشغول بفرق باشم آن گه نه بتو

و در وقت حجاب مشاهده منعم از وی روی بپوشد، همه التفات وی با نعمت و محبت بود، لا جرم در نعمت، طبل شادی میزند و در محنت، بار اندوه میکشد.

پیر طریقت گفت درد و درمان، غم و شادی، فقر و غنی، این همه صفات سالکانست در منازل راه. اما مرد که بمقصد رسید او را نه مقام است نه منزل، نه وقت و نه حال نه جان و نه دل.

مکن در جسم و جان منزل که این دونست و آن والا
قدم زین هر دو بیرون نه نه اینجا باش و نه آنجا

الهی وقت را بدرد مینازم و زیادتی را میسازم بامید آن که چون در این درد بگدازم درد و راحت هر دو براندازم.

2 النوبة الاولى

قوله تعالى: ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ، پس ترا بر راهى ساخته از فرمان روانيديم و كرديم،
فَاتَّبِعْها، بر پى آن ميرو،
وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (18) و بر پى خوش آمد و بايست نادانان مرو.
إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، كه ايشان از خداى ترا هيچ بكار نيايند.
وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ،
و ستمكاران يكديگر را بر بدى يارند و بر بيداد ساخته،
وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (19) و اللَّه نيكان را يار.
هذا بَصائِرُ لِلنَّاسِ، اين قرآن باز نمودهاست و ديدوَرها راست مردمان را،
وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (20) و راهنمونى و بخشايشى ايشان را كه بى‌گمانان‌اند.
أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ يا مى‌پندارند ايشان كه مى‌بديها كنند،
أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ كه ما ايشان را چون ايشان كنيم كه بگرويدند و نيكيها كردند،
سَواءً مَحْياهُمْ وَ مَماتُهُمْ، بر همسانى است زندگانى و مرگ ايشان،
ساءَ ما يَحْكُمُونَ (21) چون بد حكم و كژآورى كه ميكنند.
وَ خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ بيافريد اللَّه آسمانها و زمينها بسخن روان و بتنهايى،
وَ لِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ، آن را تا پاداش دهند هر تنى بآنچه كرد،
وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (22) و از ايشان هيچ چيز نكاهند و بى‌گناه از ايشان كس را نگيرند.
أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ چه بينى و چه گويى، ديدى آن مرد را كه پسند خويش، خداى خويش گرفت،
وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ، و گمره كرد اللَّه او را كه دانست كه بايد كرد،
وَ خَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ و مُهر بر گوش او نهاد و مُهر حق بر دل او نهاد،

وَ جَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً و پرده حق به نه دیدن، بر چشم او او کند،
فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ، پس کی راه نماید او را، پس اللَّه،
أَ فَلا تَذَكَّرُونَ (23)؟ پند نپذیرید؟
وَ قالُوا، گفتند،
ما هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا، نیست مگر زندگانی ما این جهانی،
نَمُوتُ وَ نَحْيا، میزییم و میمیریم،
وَ ما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ و نمی‌میراند ما را مگر گیتی،
وَ ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ، و ایشان را بآنچه میگویند هیچ دانشی نیست،
إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (24) نیستند مگر قومی که پنداره‌ای میپندارند.
وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا و هر گه که بر ایشان خوانند سخنان ما، بَيِّناتٍ سخنان درست روشن پیدا،
ما كانَ حُجَّتَهُمْ، نباشد حجت ایشان و درستی ساختن ایشان سخن خویش را،
إِلَّا أَنْ قالُوا ائْتُوا بِآبائِنا، مگر آنکه گویند پدران ما را از گور بازآرید،
إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (25) اگر می‌راست گوئید که پس مرگ زندگانیست.
قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ، گوی اللَّه شما را زنده میکند و زنده میدارد در این جهان،
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ و پس شما را میمیراند،
ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ و آن گه شما را پس ریزیدن فراهم آرد روز رستاخیز،
لا رَيْبَ فِيهِ شك نیست در آن روز و در فراهم آوردن در آن روز وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (26)، لکن بیشتر مردمان نمیدانند.
وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ، اللَّه راست پادشاهی هفت آسمان و هفت زمین،
وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ، و آن روز که رستاخیز بپای شود،
يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (27) آن روز آنست که دروغزنان و کژراهان و ناراستی‌ورزان زیان کار آیند.
وَ تَرى كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً، و هر گروهی را بینی آن روز بزانو در افتاده از فزع.
كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعى إِلى كِتابِهَا، هر گروهی می‌باز خوانند با نامه کردار ایشان،

الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (28) امروز پاداش دهند شما را بآنچه میکردید.
هذا كِتابُنا، این نامه ماست،
يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ، گواهی میدهد بر شما بعدل و راستی،
إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (29) ما نسخت میفرمودیم آن را که شما میکردید.
فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ اما ایشان که بگرویدند و کردارهای نیك کردند،
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ، در آورد اللَّه ایشان را در بخشایش خویش و مهربانی خویش،
ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (30) آنت پیروزی بزرگوار.
وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا و اما ایشان که کافر شدند،
أَ فَلَمْ تَكُنْ آياتِي تُتْلى عَلَيْكُمْ، سخنان ما نه بر شما میخواندند،
فَاسْتَكْبَرْتُمْ گردن کشیدید از آن،
وَ كُنْتُمْ قَوْماً مُجْرِمِينَ (31) و قومی بدان بودید.
وَ إِذا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، و آن گه که شما را گفتندید که وعده اللَّه راست است،
وَ السَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيها، و رستاخیز بی‌گمانست،
قُلْتُمْ ما نَدْرِي مَا السَّاعَةُ سخن شما این بود که ما ندانیم که رستاخیز چیست؟
إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا، نه مگر پنداره‌ای که میپنداریم،
وَ ما نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (32) و ما هیچ بی‌گمان نیستیم.
وَ بَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا، بروی آمد ایشان را و با دید آمد ایشان را سرانجامها بد آنچه میکردند،
وَ حاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (33) و فراسر ایشان نشست آنچه بر آن افسوس میکردند.
وَ قِيلَ الْيَوْمَ نَنْساكُمْ، و گویند ایشان را امروز شما را فرو گذاریم،
كَما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا چنان که در آن جهان فراموش کردید دیدار این روز،

وَ مَأْواكُمُ النَّارُ، و بنگاه شما آتش،
وَ ما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ (34) و شما را هيچ يارى ده و فريادرس نه.
ذلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آياتِ اللَّهِ هُزُواً، آن بآنست كه شما سخنان اللَّه بافسوس گرفتيد،
وَ غَرَّتْكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا، و زندگانى دنيا شما را بفريفت
فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْها آن روز ايشان را از آتش بيرون نكنند،
وَ لا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (35) و ايشان را فرا عذر دادن و خشنودى جستن نگذارند.
فَلِلَّهِ الْحَمْدُ، خداير است ستايش نيكو و آزادى،
رَبِّ السَّماواتِ وَ رَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعالَمِينَ (36) خداى آسمان و خداى زمين و خداى جهانيان.
وَ لَهُ الْكِبْرِياءُ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ، و او راست بى‌همتايى و بزرگوارى در آسمانها و زمينها،
وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (37) و اوست آن تواناى دانا.

النوبة الثانية

قوله تعالى: ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلى شَرِيعَةٍ اى بعد اختلاف اهل الكتاب جعلناك يا محمد على طريقة و منهج مِنَ الْأَمْرِ اى من الدين و قيل على ملّة مشروعة من امرنا الذى امرناه من قبلك من رسلنا و قيل من الامر الذى انت بصدده.
قال قتاده: الشريعة الفرائض و الحدود و الامر و النهى.
و قال ابن عيسى: الشريعة علامة تنصب على الطريق دلالة على الماء
فَاتَّبِعْها يعنى فاتّبع هذه الشريعة و اعمل بها و اتّخذها اماما،
وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ اى لا تتّبع الكافرين و المنافقين، و لا تعمل بهواهم.
إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً اى لن يدفعوا عنك من عذاب اللَّه شيئا ان اتّبعت اهواءهم و ذلك انّهم كانوا يقولون له: ارجع الى دين آبائك فانّهم كانوا افضل منك، فقال عز و جل: إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً.
وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ اى الكافر الظالم يوالى ظالما مثله و

ينصره و يعينه.
و قيل هم متّفقون على عداوتك،
وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ اى يوالى المؤمنين الذين يتّقون الشرك و الفواحش.
هذا، اى هذا القرآن،
بَصائِرُ لِلنَّاسِ، معالم للناس فى الحدود و الاحكام يبصرون بها،
وَ هُدىً من الضلالة
وَ رَحْمَةٌ، من العقاب،
لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ لا يشوب ايمانهم شك و ارتياب.
و قيل هذا اى ما تقدم من اتّباع الشريعة و ترك طاعة الظالم، بَصائِرُ لِلنَّاسِ اى بيّنات و دلائل فى امور دينهم، وَ هُدىً اى رشد، وَ رَحْمَةٌ اى نعمة من اللَّه، لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ.
أَمْ حَسِبَ يعنى بل حسب
الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ اى اكتسبوا المعاصى و الكفر،
أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ، اين آيت در شأن نفرى مشركان فرود آمد كه گفتند: اگر آنچه محمد ميگويد حق است و راست، پس ما را در آن جهان بريشان افزونى دهند در نعمت و راحت، چنان كه در دنيا ما را افزونى دادند. رب العالمين بجواب ايشان فرمود: أَمْ حَسِبَ يعنى أ حسب، استفهام است بمعنى انكار، ميپندارند ايشان كه شرك آوردند و كفر ورزيدند يعنى عتبة و شيبة و وليد كه ايشان را همچون مؤمنان و گرويدگان كنيم يعنى على و حمزة و عبيدة بن الحرث.
آن گه گفت: سَواءً مَحْياهُمْ وَ مَماتُهُمْ، حمزه و كسايى و حفص و يعقوب، سَواءً بنصب خوانند و هو نصب على الحال، يعنى احسبوا ان يسوّى بين الفريقين فى المحيا و الممات، ميپندارند كه زندگانى ايشان چون زندگانى نيكان است و مرگ ايشان چون مرگ نيكان يكسان، كلّا و لمّا، نيست، كه

- مؤمنانرا نصرت است و رفعت، در دنيا و آخرت،
- و كافران را خزى و نكال و عقوبت، در دنيا و آخرت.

معنى ديگر: ميپندارند كافران كه با مؤمنان مشارك خواهند بود در نعيم آخرت چنان كه مشارك ايشانند در نعمت دنيا، يا محمد تو ايشان را جواب ده كه: هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ، باقى قراء سواء

برفع خوانند، یعنی: محیاهم و مماتهم سواء، فقدّم الخبر علی الابتداء. میگوید بر هامسانی است زندگانی و مُردن ایشان و ضمیر با هر دو فریق شود، ای

- المؤمن مؤمن محیاه و مماته یعنی فی الدنیا و الآخرة،
- و الکافر کافر فی الدنیا و الآخرة.
- مؤمن را در ایمان، زندگانی و مرگی یکسان، یعنی در عقبی هم چنان مؤمن است که در دنیا
- و کافر کافر است هم در دنیا و هم در عقبی.

خبر درست است که مصطفی (صلي الله علیه وسلم) در مسجد شد و اصحاب صفه دید فرمود، المحیا محیاکم و الممات مماتکم.
ثم قال: ساءَ ما یَحْکُمُونَ ای بئس ما یقضون لانفسهم.
وَ خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ ای بالعدل فلا یقتضی التساوی بین الفریقین.
و قیل بالحق یعنی للحق، ای لم یخلقه عبثا لکن للجزاء،
ثم بیّنه،
فقال: وَ لِتُجْزی کُلُّ نَفْسٍ بِما کَسَبَتْ من خیر او شر،
وَ هُمْ لا یُظْلَمُونَ ای لا ینقص من حسناتهم و لا یزاد علی سیآتهم.
أَ فَرَأَیْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ فیه تقدیم و تأخیر، تقدیره، ا فرأیت من اتخذ هواه الهه، کقول الشاعر: کما جعل الزناء فریضة الرجم یعنی کما جعل الرجم فریضة الزناء.
قال ابن عباس: لیس بین السماء و الارض اله یعبد ابغض الی اللَّه من هوی متّبع.
و فی الخبر عن رسول اللَّه: ثلث مهلکات:

- شحّ مطاع
- و هوی متّبع
- و اعجاب المرء برأیه.

و قال الحسن و قتاده: ذلك الکافر اتّخذ دینه ما یهویه فلا یهوی شیئا الا رکبه من غیر زاجر، لانه لا یؤمن باللّه و لا یخافه و لا یحرّم ما حرّم اللَّه.
و قیل اتخذ دینه بهواه و ایثاره لا بالادلة و البراهین.

و قال سعيد بن جبير كانت العرب، يعبدون الحجارة و الذهب و الفضة، فاذا وجدوا شيئا احسن من الاول، رموه و كسروه و عبدوا ما هو احسن، و قال الشعبى انما سمى الهوى لانه يهوى بصاحبه فى النار،
وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عن الايمان:،
عَلى عِلْمٍ منه بعاقبة امره
و قيل على ما سبق فى علمه انه ضالّ قبل ان يخلقه،
وَ خَتَمَ اى طبع عَلى سَمْعِهِ كى لا يسمع الحق
وَ قَلْبِهِ كى لا يفهم الحق
وَ جَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً.
قرأ حمزة و الكسائى: غشوة بفتح الغين و سكون الشين، و الباقون غشاوة اى ظلمة فهو لا يبصر الحق و الهدى،
هذا كقوله: وَ تَراهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَ هُمْ لا يُبْصِرُونَ.
فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ اى من بعد اضلال اللّه،
أَ فَلا تَذَكَّرُونَ، تتّعظون بالقرآن،
انّ اللَّه واحد، قوله: مَنِ اتَّخَذَ جوابه: فَمَنْ يَهْدِيهِ.
وَ قالُوا ما هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا، هذا من قول الزنادقة الذين قالوا: الناس كالحشيش قالوا ما الحياة الدنيا الّا حياة الدنيا نَمُوتُ وَ نَحْيا فيه تقديم و تأخير، اى نحيا و نموت و قيل يموت الآباء و يحيى الأبناء و حياة الأبناء حياة الآباء، لان الأبناء بحياة الآباء صاروا احياء،
وَ ما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ اى ما يفنينا الّا مر الزمان و طول العمر و اختلاف الليل و النهار،
وَ ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ اى لم يقولوه عن علم علموه
و قيل ما لهم بذلك من حجة و لا بيان،
إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ اى ما هم فى اعتقاد هذا القول الا على شكّ.
روى ابو هريرة قال قال رسول اللَّه (صلي الله عليه وسلم) : قال اللَّه تعالى: لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر، فانى انا الدهر ارسل الليل و النهار، فاذا شئت قبضتهما.
و فى رواية اخرى عن ابى هريرة قال قال رسول اللَّه (صلي الله عليه وسلم) : لا يسبّ احدكم الدهر فان اللَّه هو الدهر و لا يقولنّ للعنب الكرم،

فان الكرم هو الرجل المسلم.
وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ يعنى القرآن واضحات الدلايل و يريد بالايات هاهنا ما فيه ذكر البعث و النشور،
ما كانَ حُجَّتَهُمْ اى جوابهم و ما احتجوا به، فسمى حجّة على زعمهم،
إِلَّا أَنْ قالُوا ائْتُوا بِآبائِنا احيوهم،
إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فى دعوى البعث.
قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ اى قل يا محمد لابى جهل و اصحابه، اللَّه يحييكم فى الدنيا
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ، منها،
ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ فى القبور، إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ.
و قيل معناه ثم يحييكم و يجمعكم فى القيامة،
لا رَيْبَ فِيهِ اى فى اليوم و قيل فى الجمع، اى لا ترتابوا فيه و قد قامت الدلالة على صحة البعث، فلم يبق فيه ارتياب،
وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ قدرة اللَّه على البعث لاعراضهم عن التدبر و التفكر فى الدلايل.
وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ يعنى الكافرين الذين هم اصحاب الأباطيل يظهر فى ذلك اليوم خسرانهم بان يصيروا الى النار.
وَ تَرى كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً هذا كقوله: حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا اى ترى امّة كل نبىّ يوم القيمة باركة على الرّكب و هى جلسة المخاصم بين يدى الحاكم، ينتظر القضاء.
و قيل مستوفزا لا يصيب الارض الا ركبتاه و اطراف انامله.
قال سلمان الفارسى: انّ فى القيامة ساعة هى عشر سنين يخرّ الناس فيها جثاة على ركبهم، حتى ابراهيم ينادى: نفسى لا اسئلك الا نفسى، كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعى إِلى كِتابِهَا قرأ يعقوب كلّ امّة بالنصب يعنى و ترى كل امّة تدعى الى كتاب عملها، اى كتاب الحفظة ليقرءوه و يستوفوا الجزاء و هو قوله: الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فى الدنيا.
هذا كِتابُنا اى يقال لهم هذا كتابنا الذى كتبنا فيه اعمالكم يعنى ديوان الحفظة يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ، اى يشهد عليكم بالعدل و بالبيان، كانه ينطق
إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. ما من صباح و لا مساء الا نزل فيه ملك

من عند اسرافيل الى كاتب اعمال كل انسان بنسخة عمله الذى يعمله فى يومه و فى ليلته و ما هو لاق فيهما،
و قال الحسن: نستنسخ اى نحفظ و قال الضحاك: نثبت، و ذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت اللَّه منه ما كان له ثواب او عقاب و يطرح منه اللغو، نحو قولهم هلم و اذهب.
فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بمحمد و القرآن،
وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ جنته، ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ. الظفر الظاهر و هم الذين يعطون كتابهم بايمانهم.
وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَ فَلَمْ تَكُنْ آياتِي القول هاهنا مضمر، يعنى يقال لهم: أَ فَلَمْ تَكُنْ آياتِي تُتْلى عَلَيْكُمْ يعنى الكتب المنزلة على الانبياء،
فَاسْتَكْبَرْتُمْ. تعظمتم عن الانقياد و الايمان بها،
وَ كُنْتُمْ قَوْماً مُجْرِمِينَ منكرين كافرين.
وَ إِذا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ اى اذا قيل لكم انّ الجزاء و البعث كائن،
وَ السَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيها اى القيامة قائمة لا محالة.
قرأ حمزة: و الساعة بالنصب عطفا بها على الوعد و الباقون بالرفع على الابتداء،
قُلْتُمْ ما نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا اى ما نحن الا نظن ظنا، اى لا نعلم ذلك الا حدسا و توهّما،
وَ ما نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ.
وَ بَدا لَهُمْ فى الآخرة اى ظهر لهم حين شاهدوا القيمة و اخرج لهم ما كتبت الحفظة من اعمالهم،
سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا اى قبائح افعالهم فى الدنيا، اى بدا لهم جزاؤها،
وَ حاقَ بِهِمْ اى احاط بهم و لزمهم،
ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ اى جزاء استهزائهم بالرسل و الكتب.
وَ قِيلَ الْيَوْمَ نَنْساكُمْ اى تقول لهم الملائكة: اليوم نتركم فى النار ترك الشيء المنسىّ الذى لا يذكر، كَما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا، يعنى كما تركتم الايمان و العمل للقاء هذا اليوم.
و قيل كما اعرضتم عن تدبر الوعيد. و الانذار اعراض من نسى الشيء
وَ مَأْواكُمُ النَّارُ منزلكم و مثويكم جهنم،

وَ ما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ من ينصركم و يدفع عنكم ممن كنتم تتعززون بهم فى الدنيا.
ذلِكُمْ، اى ذلكم العذاب،
بِأَنَّكُمُ اى بسبب انّكم،
اتَّخَذْتُمْ آياتِ اللَّهِ هُزُواً، تنزلونها منزلة الهزؤ الذى لا يقبل عليه و لا يتدبر فيه،
وَ غَرَّتْكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا اغترتم بما مد لكم فيها من الحياة السريعة الانقضاء و ما وسّع عليكم من اسباب دنياكم حتى قلتم لا بعث و لا حساب،
فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْها قرأ حمزة و الكسائى: بفتح الياء و ضم الراء،
وَ لا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ اى لا يطلب منهم ان يرجعوا الى طاعة اللَّه لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر و لا توبة.
و قيل لا يقبل منهم العتبى و هو اعطاء الرضا.
فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّماواتِ وَ رَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعالَمِينَ.
ختم السورة بكلمة الاخلاص و قيل معناه: قولوا فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عرّفهم كيف يحمدون ربهم.
وَ لَهُ الْكِبْرِياءُ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ اى له العظمة و الجلال،
و قيل استحقاق التعظيم فى اعلى المراتب له وحده،
وَ هُوَ الْعَزِيزُ، بسلطانه،
الْحَكِيمُ.فيما امر و نهى و خلق و قضى.
روى ابو هريرة: قال قال رسول اللَّه (صلي الله عليه وسلم) : يقول اللَّه عز و جل: الكبرياء ردائى و العظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما ادخلته النار.

النوبة الثالثة

قوله تعالى: ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْها اى افردناك بلطائف فاعرفها و سننّا لك طرائق فاسلكها و أثبتنا لك حقائق فلا تتجاوزها و لا تجنح الى متابعة غيرك إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ان اراد اللَّه بك نعمة فلا يمنعها احد و ان اراد بك فتنة فلا يصرفها احد، فلا تعلّق بمخلوق

فکرك و لا تتوجه بضميرك الى شيء وثق بربك و توكّل عليه.
ای مهتر عالم، ای سید ولد آدم، ای خورشید فلك سعادت، ای ماه آسمان سیادت، ای منزل عالم علم، ای درّ صدف شرف، ای طراز کسوت وجود، ما ترا از جهانیان باز بریدیم، و از پدر و مادر یتیم کردیم، و خویش و پیوند بر تو بیرون آوردیم، تا دل خویش از همه فارغ داری و یکبارگی باطاعت و خدمت ما برداری.
از شرایع ترا راه دین ساختیم، و از حقائق ترا شمع معرفت افروختیم، تا بتأیید و تمکین ما آن راه روی، و عالمیان را بآن راه خوانی، قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ ای مهتر، ما شب معراج ترا در قبه قربت بنشاندیم و صد هزار نثار الطاف بر فرق دولت تو افشاندیم و کونین را خاك قدم تو گردانیدیم و هیکل علوی و مرکز سفلی در تحت رایت ولایت تو آوردیم و مقصود آن بود که تا ترا بر بساط شفاعت انبساط دهیم، تا قصه درد عاصیان امت، بر ما برداری و عذری از آن، بهر ایشان بخواهی که: لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا یا محمد اگر تو فردا از ما کونین و عالمیان بخواهی، هنوز خاك قدم خود خواسته باشی، و اگر ما بلطف قدم، خاك آن قدم در کار خادمی از خدم تو کنیم از کمال ما مستبعد نبود.
آن مهتر انبیاء (صلي الله عليه وسلم) در دیده نبوت وی کحل بصیرت کشیده بودند، دانست که خاك را بار کش باید بود نه سرکش، که خاك بارکشی راست، نه سرکشی را، نه بینی که رب العزة ایشان را که سر کشیدند و تمرّد نمودند چه وعید میدهد و چه بیم مینماید که: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَواءً مَحْياهُمْ وَ مَماتُهُمْ
و هم ایشان را میگوید که در بیراهی و سرکشی بر پی هواء خویش رفتند و بر انبیا و داعیان راه حق، افسوس داشتند که: فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ.
پس از آن که اللَّه ایشان را بی‌راه کرد در کلّ عالم کیست که ایشان را براه باز آرد و کرا وسیلت گیرند چون راه وسائل بر ایشان فرو بستند. ایشان را امروز درخت نومیدی پیر شده، و اشخاص بیزاری بدر آمده، و از هدم عدل گرد نوایست برآمده، و فردا منادی عدل بانگ بیزاری در گرفته

كه: الْيَوْمَ نَنْساكُمْ كَما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا وَ مَأْواكُمُ النَّارُ آرى گفتم خاك را بار كشى ميبايد كرد نه سركشى. اگر سلطان گداى بى‌نوايى را از ميان راه برگيرد و پيش تخت دولت خود بدارد و او را خلعت رفعت پوشاند، گدا را شرط آن بود كه خود را فراموش نكند و قدر خود بداند. همواره آن بينوايى و بى‌آبى خويش پيش ديده خويش ميدارد.

بسمع عمر بن عبد العزيز رسانيدند كه پسر تو انگشترى ساخته و نگينى بهزار درم خريده و در وى بنشانده. نامه نوشت بوى كه اى پسر، شنيدم كه انگشترى ساخته و نگينى بهزار درم خريده‌اى و در وى بنشانده؟ اگر رضاء من ميخواهى آن نگين بفروش و از بهاء آن هزار گرسنه را طعام ده و از پاره‌اى سيم، خود را انگشترى ساز و بر آنجا نقش كن كه: رحم اللَّه امرأ عرف قدر نفسه. رحمت خداى بر آن بنده باد كه قدر خود بداند و خويشتن بشناسد.

اى جوانمرد هيچ لباس بر قد خاك راست‌تر و زيباتر از لباس تواضع نيست.

الذى جرى فى مجرى البول مرتين ليس له ان يتكبّر. كسى كه دو بار در ره گذر بول رفته باشد او را نرسد كه سر تكبّر برافرازد. تكبر و كبريا و عزّ و علاء و عظمت و بهاء صفت خداوند ذو الجلال است.

قال اللَّه عز و جل: وَ لَهُ الْكِبْرِياءُ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ او راست برترى و بزرگوارى، كامكارى و جبارى، بزرگوار در قدر و در كردار، بزرگوار در نام و در گفتار. در پاكى خود برتر از پنداشت، در بزرگى خود مهتر از دريافت، در قدر خود بيشتر از حدّ شناخت. سبحانه جلّ جلاله و عظم شأنه و عزّ كبرياؤه و جلّت احديته و تقدّست صمديّته.